افتتاح ملتقى التربية والتعليم الثاني في بيروت

السنيورة: التحديات لا تستعصي على همم الشباب

الفيصل: لابد من تأسيس مجتمع المعرفة وتنميته

الأمير خالد الفيصل والاستاذ فؤاد السنيورة

جانب من الحضور

بيروت - مكتب «الرياض»، سيمون نصار؛ تصوير - شمعون ضاهر؛

■ برعاية رئيس مجلس الوزراء اللبناني الأستاذ فؤاد السنيورة وحضوره، وبحضور صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس مؤسسة الفكر العربي، عقد في بيروت مؤتمر موسع بعنوان (الملتقى العربي الثاني للتربية والتعليم) الذي تشارك فيه مجموعة كبيرة من المؤسسات التربوية العربية التي تعنى بالثقافة والعلوم والتربية والتعليم العالي.

وفي كلمته الافتتاحية قال الأمير خالد الفيصل إن هذا الملتقى المختص بفترة التعليم العالي يأتي (لما له من دور بالغ الأهمية في التنمية البشرية والتنمية الشاملة على حد سواء) وركز الفيصل في كلمته على أن (مرافق التعليم العالي هي الأكثر قدرة على تأسيس مجتمع المعرفة وتنميته للدخول بالأمة الى آفاق العصر شريكا فاعلا في البحث العلمي والانتاج التقني والتطور العالمي بشكل عام). وأضاف أنه يكفي أن (أذكر بالأعداد الهائلة من العقول العربية المميزة في التخصصات المختلفة التي لا تزال مهاجرة والغير يستقطبها ويرعاها).

وفي كلمته المسهبة رحب دولة رئيس مجلس الوزراء الأستاذ فؤاد السنيورة بالمؤتمر وبمؤسسة الفكر العربي في لبنان، مؤكدا على أن واحدة من أمنيات الرئيس الشهيد رفيق الحريري كانت أن يعود لبنان (كما كان مدرسة العرب ومستشفاهم وبيئتهم المعرفية الرائدة والمستقبلية) وقال السنيورة، إننا نعرف (من تقارير التنمية، ومن الدراسات عن التعليم العالي العربي المشكلات الكثيرة الكمية والنوعية التي يحفل بها قطاع التعليم. فالمجتمعات العربية مجتمعات شابة، وما أمكن حتى الآن تنويع التعليم الثانوي بطرائق ملائمة ولذلك فهناك تهافت على الدراسة الجامعية في سائر الحقول ما استطاعت أكثر الدول العربية تنظيم وتيرته، فضلا عن الاختلال في مبدأ تكافؤ الفرص، وفي النوعية المستوى، وفي العلاقة بين المؤسسات التعليمية والسوق) وذكر السنيورة الذي هو أيضا أكاديمي وجامعي سابق عمل لسنوات طويلة في هذا المجال أنه في لبنان (لدينا تجربة عريقة في التعليم العالي الخاص والرسمي، ورغم كثر الكلام حول مهمات الدولة وأدوارها في الاقتصاد والشأن الاجتماعي، وحقول التعليم والصحة، فالذي أراه أن حقلي التعليم والصحة، مجالان استراتيجيان لابد أن تكون للدولة فيهما يد أساسية. ليس من أجل التوازن والضبط فقط، بل ولأنهما يتعلقان بإنسانية الإنسان، وحقوق المواطن، والتقدم الاجتماعي العام). ولفت السنيورة الى (طرائق الإدارة الديمقراطية والمستنيرة والرؤية المستقبلية للقضايا الوطنية والقومية، وفي مقدمتها التعليم، بمستوياته كافة). وقال السنيورة الى أن موضوع التربية والتعليم، وخاصة التعليم العالي تشكل تحديات رئيسية في العالم العربي اليوم (لكنها لا تستعصي على همم الشباب الذين يريدون اجتراح النهوض وصنع المستقبل الآخر).

أما معالي الدكتور سعيد المليص «المدير العام بالتكليف لمكتب التربية العربي لدول الخليج» فقد ركز في كلمته على إبراز الثغرات التي تعتري الجسم التربوي العربي وخطط النهوض، وقال المليص (إننا وعلى الرغم من كل الجهود في هذا الميدان - التربية والتعليم - ما نزال نشاهد المشكلات تتراكم فيه، بدءا من القبول ومعاييره، ومرورا بمناهجه وبرامجه وهيئات التدريس، وانتهاء بمخرجاته حتى غدا تعليمنا في حاجة الى وقفة منصفة، تنظر واقعه وتتأمل مستقبله حتى يصبح تعليمنا مصدر قوة لأمتنا) لافتا الى ذلك لن يتحقق (إلا إذا أضحى تعليمنا بكامل أطره ومستوياته، متسما بالمرونة للتكيف مع البيئة والمتغيرات، ومستعداً لاحداث تغيير في المعارف والمهارات والاتجاهات، والعمليات والأنماط السلوكية، وفقا للمتغير المجتمعي متى كان وأينما وجد).

أما الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري «مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، فقد ركز في كلمته على خطط استشراف المستقبل التربوي في العالم العربي على ضوء المتغيرات السياسية التي تعصف بالأمة العربية والإسلامية. وقال (لايمكن لنا أن نبحث قضايا التعليم بعامة، ومسائل التعليم العالي بخاصة، في معزل عن الأجواء والاهتمامات الإقليمية والدولية، لأن الموضوع ذو ارتباط بالوضع الدولي، وبالإصلاح العام في المجتمعات العربية، الذي هو طموحنا جميعا وموضع إجماعنا، والذي لا يقتصر على شأن دون آخر) وأضاف التويجري (إن الرؤيا المستقبلية للتعليم العالي لابد أن تنطلق من استيعاب هذه المتغيرات، ومن الفهم الواعي لهذه التطورات التي يعرفها العالم في ميادين التربية والتعليم. ولذلك فإن هذه الرؤية لن تكون إلا ثمرة إلإصلاح الذي لاخلاف حول ضرورته وشدة الحاجة إليه والذي لا بد أن يكون إصلاحا عميقا وشاملا، يشمل فيما يشمله، مجال التربية والتعليم على امتداده لأن التعليم العالي جزء لا يتجزأ من المنظومة التعليمية المتكاملة والمترابطة).

وكلمة الإفتتاح الختامية كانت لمدير مكتب منظمة اليونسكو في بيروت الدكتور رمزي سلامة الذي شدد على أن المنطقة العربية بأكملها اليوم تعاني من مشاكل سياسية عقيمة عكست نفسها على مستويات التربية والتعليم.

(خواطر السنين) لمحمد مكية

عراق النهوض والكبوات

فاطمة المحسن

■ كتاب محمد مكية (خواطر السنين) الذي حرره رشيد الخيون وأصدرته الساقي، يقدم سيرة شخصية لشيخ المعماريين العراقيين، الذي غدا تفصيل حياته مرتبطا بتاريخ العراق الحديث، فالعمران هو مرآة المجتمعات ونظمها وتواريخها وثقافتها.

محمد مكية الذي يكاد يودع قرنا من عمر الزمن العراقي، عاصر الزقاق الشعبي والحرفة البدائية، وشهد التطور التدريجي لحياة الأسر التي علّمت أبناءها في الملالي والمدارس الحديثة، وأرسلتهم الى جامعات الغرب.

وبين تاريخه القديم يوم كان يتيما يداوم في دكان خاله للحصول على الرزق، ودراسته في الغرب ومعاشرته الصفوة الثرية والنوادي المخملية لأهل السياسة والثقافة في عراق الثلاثينيات والاربعينيات والخمسينيات، يكتب مكية عن صيرورة بلد في صعوده وهبوطه، في ارتقائه بخطى حثيثة نحو نهضة تمايزه عن بلدان الشرق الاوسط، وانحداره الى هاوية الفقر والتخلف.

ولعل خروج مكية الاخير من العراق، يؤرخ لحقبة التدهور الدراماتيكي في تاريخ هذا البلد الموعود بالنكبات. فمكية الذي حلم بتخطيط بغداد، وسعى الى ان يمنح فرصة الاشراف على مشاريع العمران التي تمزج التراث بالحداثة، انتهى الى أكبر خيبة أمل يصادفها المرء في حياته، عندما طُرد من بيته على دجلة بأمر من عدنان خير الله طلفاح ابن خال الرئيس، كي يستولي عليه.

الحوادث التي يرويها مكية تدرج في باب الذكريات الشخصية، مذ كان طفلا في محلات صبابيغ الآل ببغداد العتيقة، حتى غدا أبرز الوجوه الثقافية التي كافحت وبضراوة من أجل الاحتفاظ بهوية العراق الحضارية.

صبابيغ الآل محلة مكية الاولى، خرج منها الكثير من المثقفين والساسة وقادة الاحزاب والتكنوقراط، وهي تمثل بتكوينها الاجتماعي، الزمن القديم حيث تتقاسم أماكن العاصمة الحرف والمذاهب والاديان. غير ان صبابيغ الآل قبل أن تُهدم أزقتها القديمة، و يهجرها سكانها الى الكرادة الشرقية، كانت تشخص في بعض معالمها بقايا الدولة العباسية، ويتحدث مكية عن تاريخ يمتد الى دار الخلافة العباسية ومشهد منارة الغزل وجامع الخلفاء، الذي تمكّن مكية إحياء معالمه من جديد.

ولد مكية العام ١٩١٤ ، وكان من الرعيل الأول الذي منح فرصة دراسة الهندسة المعمارية في ثلاثينيات القرن المنصرم بجامعة ليفربول وكمبرج، واستطاع في الخمسينيات تأسيس القسم المعماري في كلية الهندسة بجامعة بغداد، وكان الرئيس الفخري لتجمع الفنانين التشكيليين العام ١٩٥٤ الى جانب جواد سليم وصحبه.

بدأ طموحه في إعادة عمران بغداد التي شهدت عند تخطيطها الفوضوي الحديث، تجاوزا ليس فقط على معالمها الاثرية، بل على طبيعة البناء القديم الذي كان يأخذ بالاعتبار مناخ العراق ونسيجه الاجتماعي. يروي مكية وقائع هدم سور بغداد ومشروع اقامة بيوت وتجمعات على مواقع الآثار الحضارية في الموصل والناصرية والحلة، والغاء الكثير من المشاريع التي تحافظ على البيئة وتجعل للتراث تواصلا مع الحاضر.

مشروع مكية أو حلمه الأكبر المجهض وهو تأسيس جامعة الكوفة، بمعية عدد من التكنوقراط وأساتذة الجامعة والمثقفين وبينهم علي الوردي، بقي شأنه شأن الكثير من المشاريع التي لم تتحقق، حلم عمره المؤجل، فقد أوشك هذا المعلم الحضاري والمديني على الانتهاء حين أوقفته الدولة البعثية بحجة الطائفية، كما حاربته البطرياركية الشيعية حرصا على استمرار سيطرتها على عقول الناس.

لعل ذكريات مكية سجل نابض بالحيوية والانجاز، وهو بحق من بناة العراق الحديث الذي تركه أهله ومثقفوه بعد أن حلت لعنة النفط والدكتاتورية في ربوعه. ويستذكر تلك الأيام التي أسهم فيها مع مجموعة غير قليلة من الاختصاصيين في محاولة بناء مؤسسات المجتمع المدني بعيدا عن كماشة الدولة، وبالترابط مع مفهومهم للهوية الوطنية يسع كل القوميات والاديان والطوائف.

ولعل مكية يشخص نموذجا لصلة المثقف بالدولة وصلته بمفاهيم التحديث في العمران، وهي لاتعني الابنية والطرقات، قدر ماتعني التطور الروحي والذوقي للعراقيين، فقد دخل حال عودته في الاربعينيات بسجالات حول ضرورة اصدار قرارات تمنع شق الطرق العشوائي وطالب بمشروع الحزام الاخضر، واحياء بوابات بغداد كمواقع أثرية، وتنظيم المدن التاريخية كمراكز ثقافية.

لمكية في هذا الكتاب الكثير من الذكريات الممتعة، ولعل من بينها حديثه عن الأيام التي انبثقت عنها فكرة مدرسة بغداد للفن الحديث، وشعارها الذي صممه جواد سليم، واستوحى شيفراته من تراث وادي الرافدين، ونشاط الفنانين التشكيليين اللافت الذي جذب السفارات الأجنبية والمهتمين بالفن العراقي، وبينهم أغاثا كريستي الروائية البريطانية التي حزنت لأنها عجزت عن شراء لوحة لفائق حسن.

يستطرد في ذكرياته عن المعارض الفنية التي كانت تقام في بيوت الفنانين انفسهم، وكيف ولدت اللوحات من أفكار عن التراث الشعبي والمرويات. نصب الحرية لجواد سليم ، وجدارية فائق حسن، تشكلان مخاض تلك النقاشات التي يمتزج فيها الفن بالسياسة، بعد عراق الرابع عشر من تموز، كل تلك المواضيع تحضر في ذكريات مكية.

بين بغداد وأيام الدراسة في بريطانيا والعودة الى بغداد والرحيل عنها، تنظم ذكريات مكية، في الازمنة التي لاتحسب بالعقود والسنوات، قدر ما تحسب بما تكتنزه من معالم يشكل ناظمها الاساسي، حنينه الى الزمن القديم.

هو يقول ان أزمنتنا القديمة لا تستعاد بسكونيتها، بل بما تضمره من تراث حضاري نسعى اليه، كي يتجاوز الناس اغترابهم عن العمران الأوروبي. يقترب من صورة هذه الذكريات : «اختفت ملامح بغداد الشعبية وأصالتها وآثارها العريقة، لتحل محلها طرق وشوارع مستقيمة باستقامة مسطرة مهندس الطرق لمجاراة التطور الصناعي، فرضتها حركة العربات الآلية الطاغية، خالية من التهذيب والاحساس، تشير الى التخلف الحضاري. أتذكر محلتي، محلة صبابيغ الآل، بكيانها الاجتماعي المنسجم مع نسيجها العمراني، وازقتها. أتأمل تاريخ تلك المحلة بأمل العائد اليها بعاطفة جياشة، فالتذكر هو جزء من الوفاء للماضي بحلاوته ومرارته».

يقول مكية ان تفاصيل البيت البغدادي، وما فيه من تعامد بين السماء والارض، وتلك الفراغات والمساحات الحميمية، تركت أثرها في نفسه، فنقلها الى معظم أعماله المعمارية، وهي التي حددت نظرته الى التراث، وعلى وجه الخصوص، العلاقة الحميمية بين البيت التقليدي والمحلة. حسرة بقيت تلازم مكية من جهل الناس بقيمة البيت البغدادي، والتفريط بعمارته، وتبدت في محاولة استعادته في الكثير من النماذج المهمة التي وضع تصميمها لاحقا، كما ان الاغتراف من تراث المدن والمطارح العراقية الاخرى، كانت من بين المشاريع التي شغلته ويشرح في ذكرياته الكيفية التي تعامل المعماريون العراقيون وفقها مع تلك المعالم، وبينها تصميم المضيف في أهوار الجنوب، وهو حسب الرحالة الغربيين، صورة مستنسخة من المعبد السومري.

لم يترك مكية طريقة في الحياة القديمة لمحلته دون ان يسترجعها في كتابه، فهي في عرفه تشكل ثروة اغترفت منها ذاكرته الفنية وأبدعت، وكان لمفهوم الحداثة والتجديد في تصوره معان فلسفية وفنية تتفوق على الوقوف عند أطلال المدن الدارسة.

مكية الآن في التسعين، وهو يمكث في مكتبته بكاليري الكوفة بلندن، وبين بقايا صور وكتب ثمينة عن العراق والعالم العربي والاسلامي، يستعيد تلك الأيام، على أمل العودة الى بغداد التي يحتفظ بقلبه، قبل مكتبته بألف صورة وصورة لها.

فارس الإصلاح

شعر **عبدالله السمطي**

الى خادم الحرمين الشريفين:
الملك عبدالله بن عبدالعزيز

قمر عيونك.. اما هما التسهيد
يا ساهراً، هم البلاد شديد
ترعى الرعية كل ثانية كأن
شؤونها، في وقت حزنك عيد
بحنانك الملكي تغمر أمة
قد بايعتك وفي يديك وعود
اقسمت الا ترتضي قبل اليدين
فقبل التاريخ والتمجيد
يا خادم الحرمين طبت بخدمة
فرضا الإله طريقها المرصود
وقرنت اسمك بالإله فصرت
«عبدالله» فالله هو المعبود
فلأنت عبدالله حين تؤمنا
ولأنت عبدالله حين تقود
ولأنت عبدالله حين ملمة
ولأنت عبدالله حين تزود
ولأنت عبدالله.. ان الله ينصر
دائما من في اسمه التوحيد
يا اجمل الحكام انسانية
اترى بقلبك يبدأ التغريد؟
اعطيت امتك العزيزة حكمة
آياتها الإقدام والتجديد
وحدت عمر الوقت حتى انما
قد بايعك: الشيخ والمولود
مابين عينيك الحصافة والرؤى
ولكم بعمقهما يطل نشيد
ما جئت امدح انما شجن الحقيقة
بين صدري يبتدي ويعيد
يا سيد الكلمات نطقك في الفصاحة
آيه، وطلاوة، وقصيد
تستشهد الكلمات فوق شفاهنا
اما على شفتيك فهي ولود
يا أيها النبوي في اخلاقه
كرم العروبة في يديك يزيد
فالنخل من فرح يمد جذوعه
والنجم من وله اليك يميد
والرمل في الصحراء يحفظ في خطاك
بريقها فيحار كيف يعود؟
يا فارس الصحراء كيف تمدنت
احلامنا وتكاثر العنقود
بالسيف ترقص فوق حد القلب والنبض
الجميل معازف وبنود
مهما نحب قليلة صبواتنا
والحب فيك لالئ وعقود
فمتى نحبك غير هذا الحب؟
يا بطل المحبة.. ايها الصنديد؟
ماذا يؤرخ كل من رصد السجايا
والثواني سردها معدود؟
فبصوت عبدالله تبتهج الدنا
وبصوته هذا المدى محمود
قلب تضيء على المدى دقاته
فتضوع فوق العالمين ورود
المكرمات تفيض من حدقاته
لو يستطيع بروحه سيجود
ان مر في طيف الحياة فعزها
او سار في العتمات فهو رشيد
او قام يفتتح الجديد ففي يديه الخير
يهطل والقلوب رعود
قلب على كف لها بركاتها
النبض يعطي أم تراه الجود
يا خادم الحرمين نهتف دائما
الله اكبر قد اتانا العيد
فكأن ازمنة تجدد نفسها
وكأنما عصر النبي يعود
عبدالعزيز ابوك اسس دولة
أركانها الإسلام والتوحيد
وأتيت ترسم من جديد صورة
ألوانها الإيمان والتجديد
هذا «الحوار» الآن في كل القرى
و«حق انسان» البلاد وجود
و«الانتخاب» ثقافة وطنية
وتسامح، وتآلف، وعهود
ومضيت للإصلاح دون تردد
لا توقف الملك الحصيف قيود
الغرب ليس يهمنا، فبلادنا
عربية، ومقامها مشهود
ملكية المعنى، وإسلامية
الرايات فيها للسلام ورود
يرتاح غيب في صدى طرقاتها
ويؤمها مستقبل منشود
يا خادم الحرمين هل من نظرة
فلأنت في الإشراق أنت وحيد؟
يا قامة نزلت سماوات لتلمس
عزها والعز فيك صعود
يا مطلقا للحب.. كل العاشقين
على شغافك دمعهم ممدود
سئموا الليالي ان تكون صبابة
لما بكى في عينك التسهيد
اكرمت شعبك بالعطايا كلها
وعفوت.. عفو القادرين حميد
هل جئت بالنجمات تكتب دهرنا
نتلو ضياءك وهي فيه شهود
ام جئت بالتاريخ تنظم سيرة
في هاجس الدنيا لها ترديد؟
يا خادم الحرمين هذي كلمتي
شقيت بها لغتي وأنت سعيد
سلمت عيونك اذ مسست حروفها
يا سيدي ان القلوب بريد
من صوتك الملكي تولد امة
فبغير صوتك لن يكون وجود